

وما سواها (252)

البشرية والحياة على أرضٍ تدور!! (3)



د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

### سابعاً: أعماق السلوك البشري!!

السلوك البشري تحركه عقد كامنة في الأعماق.

فالدافع السلوكي قوة هائلة متسيده على ما يبدر من الفرد من فعل ورأي وتصور .

ومن يتأمل بواطن السلوك لا ظواهره , يتوصل إلى حقائق بعيدة ومرعبة جدا .

فالبشر يتأثر سلوكه بعقد متجذرة في دياجير الأعماق , فتأكلها مثلما تأكل الأرضة قلب الأشجار , فتفقد مقاومتها على مواجهة الريح , فتسقط صريعة في الغابة , لتفترسها عوامل التعرية والأشجار من حولها , وجوف الأرض الناري الطباع .

البشر لا يملك عقلا حرا , ودماغا منقطعاً عن سباط العُقد الكامنة فيه , بل هو مأسور بعُقه وأفكاره , وهو العبد المطيع لها , والموظف البارح , الذي يستخدم آلياته الدفاعية التسويغية , من أجل تحقيق رغبات العُقد الكامنة , وتأمين إستمرارية السلوك حتى يسقط ذلك الفرد , مثل جذع الشجرة المنخور في غابة الحياة البشرية .

ويسبب "داينمو" العُقد الكامنة , والسلوك الناجم عنها , تتحقق في حياتنا اليومية المشاكل والصراعات , والمواجهات والكثير من العناءات , التي لا تنتهي إلى سكون , أو تنتقل إلى إدراك وتعقل ووعي وتصحيح .

والعُقد البشرية الكامنة , ما أن تتطلق معبّرة عن نفسها , حتى تتصف بأخلاق الوحوش الشرسة , وتحقق عماءً شاملاً في دنيا البشر , وتأخذ إلى ما يضره ويقضي عليه , وإلى ما يجعل حياته ووجوده الأرضي أقصر .

وما هي إلا شياطين خفية تحرك البشر الذي يبدو أمامك , بسلوكياته المتنوعة المشحونة بأسباب الشدائد والصراع , وأنت تجهل غاياته , لأنك لا تعرف ما يريد , ولا ترى ذلك الوحش الشرس , الكامن في دهاليز الأعماق المتسترة بالدروع الأخلاقية , والكثير من آليات الدفاع التي لا يمكنك إختراقها إلا بعد جهد عظيم .

ومن هنا , فأن فهمنا للمشاكل الإجتماعية والسلوكيات الفردية , يبقى ناقصاً وبعيداً كل البعد عن الصحة , إن لم ندرك العقد الدفينة في حياة الفرد والمجتمع .

أي أن علم الإجتماع بحاجة ماسة للتقريب عن محركات السلوك البشري في أي مكان وزمان , وفقاً

السلوك البشري تحركه عقد كامنة في الأعماق .  
فالدافع السلوكي قوة هائلة متسيده على ما يبدر من الفرد من فعل ورأي وتصور .

البشر يتأثر سلوكه بعقد متجذرة في دياجير الأعماق , فتأكلها مثلما تأكل الأرضة قلب الأشجار , فتفقد مقاومتها على مواجهة الريح , فتسقط صريعة في الغابة

البشر لا يملك عقلاً حراً , ودماغاً منقطعاً عن سباط العُقد الكامنة فيه , بل هو مأسور بعُقه وأفكاره , وهو العبد المطيع لها , والموظف البارح , الذي يستخدم آلياته الدفاعية التسويغية , من أجل تحقيق ورغبات العُقد الكامنة

بسبب "داينمو" العُقد الكامنة , والسلوك الناجم عنها , تتحقق في حياتنا اليومية المشاكل والصراعات , والمواجهات والكثير من العناءات

لمقدار وعيه لنوع العقد الكامنة في دنيا البشر .

هذه العقد تحقق تفاعلات سلوكية تتشابك وتتعدد , حتى لتغيب عن الناظر إليها عناصرها المتفاعلة , ودور الظروف الذاتية والموضوعية في التفاعل القائم فيما بينها .

ومشاكل البشرية تتجم عن عقد دفينه في أعماق من يتولى أمر مجموعة منها هنا أو هناك على وجه الأرض ,

خصوصا عندما يمتلك ذلك الفرد الحرية في التعبير المطلق عن عقده, بعيدا عن كل رقيب ومحاسب. أي أنه يمتلك قرار الأمر والنهي في المجتمع , ويكون فوق القانون ويدوس الدستور بقدميه فيصبح الناس عنده مثل الفرائس .

وفي التاريخ المعاصر والقديم , الكثير من الأشخاص الذين أذاقوا شعوبهم مرارة الحياة , فقهرتهم بالطغيان والحروب والمآسي والجوع والألم , وحولوا حياتهم إلى جحيم لا يُطاق , وأيامهم إلى عناءات متراكمة وويلات متفاقمة .

ومن أعظم العقد التي إذا عبّرت عن نفسها , فأنها ستدفع بالفرد الذي يمسك مقاليد الحكم والقرار في المجتمع , إلى تدمير ذلك المجتمع ودفعه إلى أعظم المآسي والويلات , هذه العقدة هي عقدة الأب المفقود .

فعندما يفقد الفرد أباه, ويكون بلا أب منذ ولادته, ولم يتمكن أحد من الذين حوله من سد هذه الحاجة النفسية وإرضاء رغباتها, ومن ثم تكريسها وتأكيدتها في أعماق ذلك الفرد , يكون هذا الفرد من أخطر القادة على شعبه وجماعته , لأنه سيكره سماع كلمة "ابا" ولا يريد لمن يقال له بابا أن يبقى . وهذه العقدة ستدفعه إلى خوض الحروب التي غايته منها أن يحرم كل من يقول كلمة "ابا" من قولها ثانية .

هكذا فرد لا تكون عنده أحاسيس بالآخرين, بل يكون في عز الغرق الذاتي والإمعان بالذاتية والحرمان العاطفي .

ففاقد الشيء لا يعطيه , بل يمنعه عن الآخرين , ويقاتلهم قتالا شرسا من أجل أن لا يحصلوا عليه . وهكذا ترى أن شعوبا كثيرة في الأرض قد تدمرت , بسبب هذه العقدة القاتلة الكامنة في أعماق قادتها , والتي دفعت بهم إلى تحويل الحياة إلى مطحنة موت وقتل رهيب لا تتوقف .

فالقتل عند صاحب العقدة, عبارة عن صناعة مجموعة من البشر لا تقول بابا , وما يريد قتله هو هذه الكلمة التي تسحقه , وتدمر وجوده وتقوده إلى حيث لا يدري , فتراه لا يتوانى أو يتردد في قتل أي والد وحرمان أي طفل أو صبي من قول بابا .

نعم هذه العقدة قد فعلت فعلها في شعوب عدة وكذلك هناك عقد أخرى .

فعلينا أن لا نسمح لأي فرد يمتلك قوة من غير رقيب , وأن ندرس كل عقدة في أعماق من نرشحهم لقيادة أمر ما في أي مجتمع , ولا بد من دراسة مكونات شخصيتهم قبل أن نثق بهم , وإلا فلن تسلم البشرية من الجور والإمتهان .

العقد البشرية الكامنة, ما أن تنطلق معبرة عن نفسها , حتى تتصف بأخلاق الوحوش الشرسة , وتحقق عماء شاملا في دنيا البشر

أن فهمنا للمشاكل الإجتماعية والسلوكيات الفردية , يبقى ناقصا وبعيدا كل البعد عن الصحة , إن لم ندرک العقد الدفينة في حياة الفرد والمجتمع

مشاكل البشرية تنجم عن عقد دفينه في أعماق من يتولى أمر مجموعة منها هنا أو هناك على وجه الأرض

من أعظم العقد التي إذا عبّرت عن نفسها , فأنها ستدفع بالفرد الذي يمسك مقاليد الحكم والقرار في المجتمع , إلى تدمير ذلك المجتمع ودفعه إلى أعظم المآسي والويلات , هذه العقدة هي عقدة الأب المفقود

عندما يفقد الفرد أباه, ويكون بلا أب منذ ولادته, ولم يتمكن أحد من الذين حوله من سد هذه الحاجة النفسية وإرضاء رغباتها, ومن ثم تكريسها وتأكيدتها في أعماق ذلك الفرد , يكون هذا الفرد من أخطر القادة على شعبه وجماعته

هذه العقدة ستدفعه إلى خوض الحروب التي غايته منها أن يحرم كل من يقول كلمة "ابا" من قولها ثانية .

ثامنا: جيناتنا الحضارية!!

شعوباً كثيرة في الأرض قد  
تدمرت ، بسبب هذه العقدة  
القائلة الكامنة في أعماق  
قاداتها ، والتي دفعتهم بهم إلى  
تحويل الحياة إلى مطبخ موب  
وقتل رهيب لا تتوقف

القتل عند صاحب العقدة ، عبارة  
عن صناعة مجموعة من البشر لا  
تقول بابا ، وما يريد قتله هو  
هذه الكلمة التي تسحقه ،  
وتدمر وجوده وتوقده إلى  
حيث لا يدري

جميعنا تكمن فينا جينات متعلمة  
متحضرة متميزة خبيرة ، ومنذ  
آلاف السنين ، وهي تنتقل عبر  
الأجيال والعصور ، وكلما تفاعلت  
مع جينات أخرى ، تمكنت من  
الحصول على حرية التعبير عن  
طاقاتها

المستقبل سيشهد تفتح جيناتنا  
في محيطات أخرى ، بسبب  
التفاعل الحر القائم ما بين أبناء  
الدنيا.

أن الجين الذي كان كامناً في  
الأجيال التي سبقتنا ، قد وجد  
الفرصة المؤاتية لكي يترجم ما  
فيه من الأفكار والطاقات

أننا نحمل جينات ذات نوعية  
حضارية عالية ، تشهد عليها  
المسيرات التاريخية الطويلة  
بعطاءاتها المتوالية ، فأجدادنا  
الذين انطلقوا في مسيرتهم ،  
قد أنشأوا وأوجدوا ، جينات  
تعاظمت ثقافتها وقدراتها  
وخبراتها وتواصلت مع الزمن

قبل أكثر من عشرة سنوات ، كتبت مقالة خلاصتها ، أن الدول الغربية ستزداد حضارة وقوة بتوافد  
المهاجرين من ديارنا إليها ، وحجتي على ذلك أن هذه الدول تكتسب جينات حضارية نادرة ومميزة ،  
ستفتح فيها ، لأنها تمتلك قدرات توفير الظروف الملائمة لإنطلاقها ، والتعبير عما فيها من جواهر  
الإبداع والتميز .

وهذا يؤكد الدور الخلاق للعقول القادمة من ديارنا في بلاد المهجر ، حيث تراها في مقدمة الآخرين  
ومن المتميزين .

ومشاكلتنا الجوهرية أن مجتمعاتنا بأنظمتها لا توفر لنا الظروف اللازمة لإطلاق طاقاتنا الجينية  
الحضارية ، وغنا تدفعها للانحراف إلى ما يعيقها ويهددها .

فجميعنا تكمن فينا جينات متعلمة متحضرة متميزة خبيرة ، ومنذ آلاف السنين ، وهي تنتقل عبر الأجيال  
والعصور ، وكلما تفاعلت مع جينات أخرى ، تمكنت من الحصول على حرية التعبير عن طاقاتها .  
ولهذا فأن المستقبل سيشهد تفتح جيناتنا في محيطات أخرى ، بسبب التفاعل الحر القائم ما بين أبناء  
الدنيا .

ومن الأمثلة القريبة على هذا التفتح الحضاري المنير ، أن " ستيفن جوبس" مؤسس شركة "أبل" ، نصف  
جيناته من ديارنا ، فأبوه سوري الأصل .

وهذا يشير إلى أن الجين الذي كان كامناً في الأجيال التي سبقتنا ، قد وجد الفرصة المؤاتية لكي  
يترجم ما فيه من الأفكار والطاقات .

وما يجري في بلداننا ، إنما تعبير عن سلوك الجينات المخنوقة ، الممنوعة من الوصول إلى إظهار  
دورها وفعلها الحضاري في المحيط الذي هي فيه ، ولهذا تراها تميل إلى التفاعلات المدمرة الماحقة  
لوجودها الذاتي والموضوعي .

أي أننا نحمل جينات ذات نوعية حضارية عالية ، تشهد عليها المسيرات التاريخية الطويلة بعطاءاتها  
المتوالية ، فأجدادنا الذين انطلقوا في مسيرتهم ، قد أنشأوا وأوجدوا ، جينات تعاظمت ثقافتها وقدراتها  
وخبراتها وتواصلت مع الزمن ، ويتعاقب الأجيال ، إزدادت نضجا وقوة وخبرة ، وهي التي تيرجم الفرد  
الذي يخترنها للقيام بالسلوك المعبر عنها .

وسلوك الجينات كأى سلوك آخر ، عندما لا يجد الظروف التي تؤهله لكي يتحقق ، فإنه يكمن أو  
ينحرف .

وبما أن طاقات الجينات التي فينا ذات إرادة عالية وطاقات فائقة ، فأن كبتها يكون صعبا ، ولهذا فهي  
تتبع في اتجاهات متعددة ، تؤدي بنا إلى الوقوع في صراعات وتفاعلات سلبية ، في حقيقتها عبارة عن  
إنسكاب عشوائي ، وتبديد لطاقات حضارية تريد أن تبني معالم وجودها المتميز .

وهذا يفسر الكثير من سلوكياتنا ، وما يجري في واقعنا .

فهل سنعي هذه الحقيقة الحضارية ، ونسعى لتوفير الظروف اللازمة للتعبير عن طاقات الجينات  
الكامنة فينا؟!!

تأسعنا: بشرستان!!

بما أن طاقاته الجيذات التي فينا ذات إرادة عالية و طاقة هائلة , فإن كتبها يكون صعبا , ولهذا فهي تنبع في اتجاهات متعددة , تؤدي بنا إلى الوقوع في صراعات وتفاعلات سلبية

للأرض دستور يدعو إلى تأكيد القيم الإنسانية والقواعد الضرورية لبناء العدالة الأرضية وتحقيق السلام في القرن الحادي والعشرين

فكرة يوم الأرض لها معاني ودلالات بقائية وتدعو إلى تحمل مسؤولية التفاعل مع التراب الذي نبني حياتنا فوقه , وأن علينا أن نصون أمننا الأرض ونحترمها ونحافظ على نظافتها وجمالها

الأرض عالمنا الذي لا نقدر أن ننفض عنه ولا أن نحيا خارج حدود غلافه الجوي وطاقاته جذبنا لنا , فلا يمكننا أن نعيش طويلا فوق قمم الجبال الشاهقة , ولا نستطيع أن نبقى في أعماق البحار أبدا

هل سنتمكن من النظر إلى الأرض كدولة واحدة وموطن واحد لأجناس البشر التي تشترك في هذا البيت الكوني التائه الصغير , وفي هذا البيت الكوني التائه الصغير

لا نعلم لماذا تم إختيار الأرض دون أخواتها لتكون موطننا للحياة , التي يعتقد أنها تنتهي في باقي الأجرام الدوارة حول الشمس

الأرض موطن البشر , ولها يوم يكون في الثاني والعشرين من نيسان من كل عام .

وفي مجتمعاتنا يمر يوم الأرض من دون أية إشارة أو مقالة تذكر به وتدعو إلى تأمل معانيه وقيمه ودلالاته .

فلم نقرأ بلغتنا في الصحف ومواقع الانترنت شيئا عنه , وما أظهرنا أية نشاطات ذات علاقة بالأرض حاضنة وجودنا , ولا بزيادة مساحة اللون الأخضر في حياتنا .

وللأرض دستور يدعو إلى تأكيد القيم الإنسانية والقواعد الضرورية لبناء العدالة الأرضية وتحقيق

السلام في القرن الحادي والعشرين , الذي بشرنا بالحروب الفتاكة والمجاعات المقبلة والفقر المجيد .

وللأرض علم وهو أزرق اللون وفيه صورة الأرض التي إلتقطتها عدسات ناسا . وهناك تصاميم أخرى

كالتي تجمع الشمس والقمر والأرض بخلفية ظلماء .

وللأرض إحتفالات يقوم بها بعضهم في يوم الأحد قبل يوم الأرض لتمجيد مخلوقات رب العالمين .

وللأرض ساعة في آخر يوم سبت من شهر آذار , يتم فيها إطفاء الأضوية والأجهزة الكهربائية الغير

ضرورية لمدة ساعة فقط .

وفكرة يوم الأرض لها معاني ودلالات بقائية وتدعو إلى تحمل مسؤولية التفاعل مع التراب الذي نبني

حياتنا فوقه , وأن علينا أن نصون أمننا الأرض ونحترمها ونحافظ على نظافتها وجمالها , كما نحافظ على

معالم وجودنا الشخصي .

فالأرض عالمنا الذي لا نقدر أن ننفض عنه ولا أن نحيا خارج حدود غلافه الجوي وطاقات جذبنا لنا

, فلا يمكننا أن نعيش طويلا فوق قمم الجبال الشاهقة , ولا نستطيع أن نبقى في أعماق البحار أبدا .

وتلك حكمة التفاعل الخلاق معها وتثمين الأفكار في ترابها وإطلاق الإبداع منه وعودته إليه .

والمجتمعات الأرضية في عصر الثورة المعلوماتية والإتصالية , من الضروري أن تعي بأنها أصبحت

أمة واحدة تعتمد على بعضها وتتفاعل كالعائلة الواحدة , وعليها تقع مسؤولية الإهتمام بالمجتمع العالمي

بأسره وبموطنها الأرض , لأن أي ضرر يتحقق في أية بقعة منها يؤثر على أبنائها كافة .

وها نحن نقرب من إكتشاف مجتمعات كونية في كواكب أخرى , تبحث عنا ونبحث عنها , وسنلتقي

ذات يوم قريب , فنبتادل الرؤى والتصورات , ونكشف حقائق الزمن الذي مضى , وغرقت الأجيال في

نواميسه ومعتقداته المتنوعة .

فهل سنتمكن من النظر إلى الأرض كدولة واحدة وموطن واحد لأجناس البشر التي تشترك في هذا

البيت الكوني التائه الصغير , المقيد بنظام المجموعة الشمسية التي أسرته وتفاعلت لكي تؤسس الحياة

فيه .

ولا نعلم لماذا تم إختيار الأرض دون أخواتها لتكون موطننا للحياة , التي يعتقد أنها تنتهي في باقي

الأجرام الدوارة حول الشمس , التي تغذيها بالضوء والحرارة اللازمة لصيرورة وديمومة الأحياء .

وفي يوم الأرض إنشغل الناس في بعض البلدان بهموم القتال والصراع على الكراسي , وأمعنوا في

زيادة مساحة اللونين الأحمر والأسود , وبتثمين الولايات والأحزان .

وفي هذا اليوم الغائب عنا , تنكرت الشجرة المباركة المعطاء التي أطعمت الأجيال بثمارها , وتأملت

مسيرتها المعاصرة في وادي الرافدين , وكيف أنها تتاقصت وهاجرت مثل أبناء بلادها المبتلين بالآهات

والعناءات المتواكبة من كل الجهات.

وتساءلت لماذا لم نتعهدنا بالرعاية والحب والحنان , ولماذا لا ننتشل بزراعة بساتين النخيل والبرتقال والتفاح والأعشاب وغيرها , لكي نطعم بعضنا ونمنح التراب جمالا وبهاء يسر الناظرين .  
ولماذا لإنشغلنا بزراعة الصور للوجوه المختلفة في كل زاوية وموضع ومحلة وشارع, ولا نعرف بماذا تقيدنا وأي عطاءٍ وأثمار تمنحنا, وهل أنها ستطعم الجياع وتمنع الفقر .

تساءلت في يوم الأرض المنسي في بلادنا العربية التي ستهب عليها موجات الغلاء والجوع , وستكون أول الضحايا في قرننا الغاضب المتأزم , الذي يسعى إلى إحتكار حقوق البشر وإغتصاب الآمال والطموحات والطاقات , لكي يموت الكثيرون ويعيش القليلون بسعادة ومسرات محشوة بعذابات الضمير .  
تساءلت... وهل تتساءلون معي لماذا لا نعشق أرضنا , ونغذيها بالأخوة والرحمة والشفقة والتكاتف والتفاعل الإنساني النبيل , الذي يدعونا إليه تاريخنا وصوت الحضارات الكبرى في بلادنا الثرية بالأفكار والغنية بالثروات المادية والروحية , والتي تطعم البشرية نبطا وطاقات أخرى لا تعرفونها.

تساءلت.. في قرن جديد وفي يوم الأرض , وما وجدت جوابا إلا حبّ الأرض والإنتماء إليها والعودة إلى ترابها وإروائها بماء المحبة والألفة والتسامح والمودة , لكي تعطينا ما يدفع عنا الجوع والغلاء والبلاء الذي يُراد له أن يكون مقيما بيننا , فننتشل عن التراب ببعضنا فنسقيه دماءً بدلا من الماء , وفي هذا تحل علينا المصائب ويتمكن منا العسر والضراء .

وختاما , تحية للأرض وما عليها من الأحياء , ويا ليتنا نرى كما ترى ونفكر بعقلها , ونتعلم منها آليات التفاعل الخلاق الجدير بالخلود والتألق والرقاء , فهي تدور لكي ترعانا , وتحنو علينا رغم قسوتنا , وعدوانيتنا وما نتسبب لها به من ويلات , فهي أمنا الرؤوم , وحاضنة وجودنا السرمد , وإن للأرض سلطان علينا , وهي قائدتنا , ونبراس مصيرنا , فهل سترعوي البشرية وتدرك بأن عليها أن تعرف الأرض وتتفاعل مع إرادتها بمحبة وألفة وأخوة وإنتماء؟  
وإن البشرية لعلی شفا حفرةٍ من الوعيد!!

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa252-061119.pdf>

إرتباطات ذات صلة:

البشرية والحياة على أرضٍ تدور!! (1-2)

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa251-231019.pdf>

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa250-151019.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2019 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفيئ شمعها الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاما من الكد... 61 عاما من التواكل "

( التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13 )

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

في يوم الأرض إنشغل الناس في بعض البلدان بمهوم القتال والصراع على الكراسي , وأمعنوا في زيادة مساحة اللونين الأحمر والأسود , وبتثمير الولاة والأحزان

تساءلت... وهل تتساءلون معي لماذا لا نعشق أرضنا , ونغذيها بالأخوة والرحمة والشفقة والتكاتف والتفاعل الإنساني النبيل

تساءلت.. في قرن جديد وفي يوم الأرض , وما وجدت جوابا إلا حبّ الأرض والإنتماء إليها والعودة إلى ترابها وإروائها بماء المحبة والألفة والتسامح والمودة , لكي تعطينا ما يدفع عنا الجوع والغلاء والبلاء الذي يُراد له أن يكون مقيما بيننا